مناظرة... بين السيف و القلم

بقلم الشيخ ابي جندل الازدي

بسم الله الرحمن الرحيم

لمَّا كان السيفُ والقلمُ عُدَّتي العملِ وَالقَوْل، وَعُمْدتي الدَّوَل، فإنْ عَدِمَتهما دولةٌ فلا حَوْلَ، وَرُكنِي إسنادِ المُلْكِ المعرِبَيْنِ عن المخفوضِ والمرفوع، وَمُقَدِّمَتَي نتيجة الجدل الصادرِ عنهما المحمولُ والموضوع فكّرْتُ أيهما أعظمُ فخراً وأعلى قدراً فجلستُ لهما مجلسَ الحُكْمِ والفتوى، ومثلتُهما في الفكرِ حَاضِرَيْنِ للدعوى، وسَوّيت بين الخصمينِ في الإكرَامِ، واستنطقتُ لسانَ حالِهمَا للكلام.

فقال القلم :-

بسم الله مجريها ومُرْساها، والنهار إذا جَلاّها والليل إذا يغشاها، أما بعد حمد الله خالق القلم، ومشرفة بالقسَم، وجاعله أول ما خلق، جَمّل الورق بغصنه كما جَمّل الغصن الورق. والصلاة على القائل : "جفت الأقلامُ"، فإن للقلم قصَبُ السباق، والكاتِبُ بسبعة أقلام من طبقات الكتاب في السبع الطباق، جَرَى بالقضاء والقدر، ونَابَ عن اللسان فيما نهى وأمَرَ، وطالما أربى عَلَى البِيض والسُّمْرِ في ضرابها وطعانها، وقاتل في البعد والصوارم في القُرْبِ ملء أجفانها، وماذا يُشْبِهُ القلم في طاعة ناسه ؟ ومشيه لهم على أمِّ رأسه ؟

قال السيف :-

بسم الله الخافض الرافع، وأنزلْنَا الحديد فيه بأسٌ شديدٌ ومنافع، أما بعد حمد الله الذي أنزل آية السيفِ فعظّمَ بها حرمة الجُرح وأمن خيفةَ الخيف، والصلاة على الذي نفدَّ بالسيف سطور الطروس، وخدمته الأقلام ماشية على الرءوس، وعلى آله وصحبه الذين أرْهفَتْ سيوفهم، وبُنِيَتْ بها على كسر الأعداء حروفهم، فإن السيف عظيم الدولة شديد الصّولة، محا أسطار البلاغة، وأساغ ممنوع الإساغة، من اعتمد على غيره في قهر الأعداء تعب، وكيف لا وفي حَدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللعِبِ ؟!

فإن كان القلم شاهداً، فالسيف قاض، وإن اقتربت مجادلته بأمر مستقبل قطعَهُ السيف بفعلٍ ماض، به ظهرَ الدينُ، وهو العُدّة لقمع المعتدين، حَمَلَتْهُ دون القلم يد نبيِّنا، فَشَرُف بذلك في الأمم شرفاً بيِّناً، الجنة تحت ظِلاله، ولا سيما حين يُسَلّ فترى وَدْقَ الدم يخرج من خلاله، زُينت بزينة الكواكب سماء غِمدة، وصدَقَ من قال "السيف أصْدَقُ أنْباءٍ من ضده " لا يعيثُ به الحامِلُ، ولا يتناوله كالقلم بأطراف الأنامل، ما هو كالقلم المُشَبَّه بقوم عرُوُّا عن لبوسهم، ثم نُكسوا كما قيل على رُءُوسهم، فكان السيف خُلِق من ماءٍ دافق، أو كوكب راشق مقدراً في السّرْد، فهو الجوهر الفَرْد، لا يُشترى كالقلم بثمن بخس، ولا يبلى كما يبلى القلم بسواد وطمس، كم لقائمه المنتظر، من أثرٍ في عينٍ أو عينٍ في أثر، فهو في جراب القوم قوامُ الحَرب، ولهذا جاء مطبوع الشكل داخل الضرب.

فقال القلم :-

أوَمَنْ يُنَشَّأ في الحلية وهو في الخصام غيرُ مُبين، يُفاخرُ وهو القائمُ عن الشِمال، وأنا الجالس على اليمين؟! أنا المخصوصُ بالرأي وأنت المخصوص بالصَّدَى، أنا آلة الحياة وأنت آلة الردى، ما لِنْتُ إلا بعد دخول السعير، وما حُدِّدت إلا عن ذنب كبير، أنت تنفع في العمر ساعة، وأنا أفني العُمْرَ في الطاعة، أنت للرَّهَب، وأنا للرَّغَب، وإذا كان بَصَرُك حديداً فبصري ماءُ ذهب، أين تقليدُك من اجتهادي، وأين نجاسة دمك من تطهير مِدادي ؟

قال السيف :-

أمثلك يُعَيِّرُ مثلي بالدماء؟! فطالما أمرتُ بعض فراخي ــ وهي السكين ـ فأصبحت من النفاثات في العقد يا مسكين، فأخلتْ من الحياة جُثمانك، وشقّت أنفك وقطعت لسانك.
ويلك ! إن كنت للديوان فحاسِبٌ مهموم , أو للإنشاء فخادمٌ لمخدوم، أو للتبليغ فساحر مذموم، أو للفقيه فناقص في المعلوم، أو للشاعر فسائل محروم، أو للشاهد فخائف مسموم، أو للمعلم فللحيّ القيّوم أمَّا أنا فلي الوجه الأزهر والحلية والجوهر والهيبة إذ أُشْهَر , والصعود على المنبر. ثم إني مملوك كمالك، فإنك كناسك، أسلك الطريق واقطع العلائق.

فقال القلم :-

أما أنا فابن ماءِ السماءِ , وأليف الغدير وحليف الهواء، أما أنت فابن النار والدخان وناثرُ الأعمار وخَوَّان الإخوان تفصل

ما لا يُفصل وتقطعُ مـا أمـرِ اللـه بـه أن يُوصَـل، لا جـرمٍ أن صَعَّرَ السيف خده وصقل قفاه , وسُقي ماءً حميمـاً فَقَطَّـع معَاه، يا غُرَاب البين , ويا عُدَّة الحَين، ويا مُعْتَـلّ العيـن، ويـا ذَا الوجهين، كم أفنيت وأعدمت ؟ وأرملْتَ وأيْتَمْتُ ؟

قال السيف :-
يا ابن الطين ! ألسـت ضـامراً وأنـت بطيـن ؟! كـم جَرَيـت بعكـس وتصـرَّفت فـي مكـس وزَوَّرْت وَّحرفـت، و نكَّـرت وعرّفت، وسَطّرت هجواً وشتماً ، وخلّدت عاراً وذمَّاً، أبشـر بفرط رَوْعتـك، وشـدة خِيفتـك، إذا قِسْـتَ بيـاض صـحيفتي بسواد صحيفتك، فألِنْ خطابك فأنت قصير المدة، وأحسـن جوابك فعندي حِدّه، وأقلل مـن غلظتـك، وجبهـك، واشـتغل عن دم في وجهي بقبيح فِي وجهك، وإلا فأدنى ضـربةٍ منـي تروم أرومتك، فتستأصلك وتجتثّ جرثومتَـك، فسـقياً لمـن غاب لك عن غابك، ورعياً لمن لو أهاب بك لسلخ إهابك.

فلمـا رأى القلـمُ السـيفَ قـد احتـد، ألان لـه مـن خطابِهِ ما اشتد وقال :-
أما الأدب فيؤخذ عنّي، وأمـا اللطـف فيُكتسـب منّي، فـإن لِنْتَ لنتُ، وإن أحسنتَ أحسنتُ، نحن أهل السمع والطاعة، ولهذا نجمعُ في الدواة الواحدةِ منَّا جماعة، وأما أنتـم فأهـلُ الحدةِ والخلافِ، ولهذا لا يجمعون بين سيفين في غلاف.

قال السيف :-
أمَكراً ودعوى عِفّة ؟ لأمرٍ ما جدع قصير أنفه ! لو كنتَ كما زعمتَ ذا أدب , لما قابلتَ رأسَ الكاتبِ بعُقـدةِ الـذنَب، أنـا ذو الصّيت والصوتِ، وغِراري لسانَ مشَرَفي يرتجل غرائب الموت , أنا من مارجٍ من نارٍ، والقلم من صلصالٍ كالفخـارِ، وإذا زعم القلمُ أنه مثلي، أمرتُ مَنْ يدقّ رأسه بنعلي.

فقال القلم :-
صَهْ فصاحبُ السيفِ بلا سعادةٍ، كأعزل.

قال السيف :-
مهْ فقلمُ البليغِ بغير حظٍ مغزل.

فقال القلم :-
أنا أزكى وأطهر.

قال السيف :-
أنا أبهى وأبهر.

فتلا ذو القلم لقلمه :-
(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) (الكوثر:1).

وتلا صاحب السيف لسيفه :-
(فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) (الكوثر:2).

فتلا ذو القلم لقلمه :-
(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) (الكوثر:3).

قال :-
أما وكتابي المسطور، وبيتي المعمور، والتوراة والإنجيل، والقُرآن ذو التبجيل، إن لم تكف عنّي غَرْبك، وتُبعد مني قُرْبك، لأكتبنك من الصَّمِّ والبُكم، وَلأسطرنّ عليك بِقلمي سجلاً بهذا الحكم.

قال السيف :-
أما ومَثْني المتين، وفتحي الْمُبين , ولسانَيّ الرطبين، ووجهَيّ الصُلبين، إنْ لم تُغِبْ عن بياضي بسوادك، لأمسَنَّ وجهك بمدادك، ولقد كسبت من الأسد في الغابة، توقيع العين والصلابة، مع أني ما ألوتُك نصحاً أفنضرب عنكم الذكر صفحاً ؟

قال القلم :-
سَلِّم إن كنتَ أعلى فأنا أعلم , وإن كنتَ أحلى فأنا أحلم، وإن كنت أقوى فأنا أقوم , أو كنت ألوى فأنا ألوم , أو كنت أطرى فأنا أطربُ، أو كنت أغلى فأنا أغلب , أو كنت أعتى فأنا أعتبُ , أو كنت أقضى فأنا أقضب.

قال السيف :-
كيف لا أفْضُلك , والمقرُّ الفلانيُّ شادٌّ أزري.

قال القلم :-
كيف لا أفْضُلك وهو (عزَّ نصرهُ) ولي أمري ؟

قال الحَكمُ بين السيفِ والقلم :
فلما رأيتُ الحجَّتيْن ناهضتين، والبيِّنتيْن بينتيْن مُتعارضتين، وعلمتُ أنَّ لكلٍّ واحدٍ منها نسبةً صحيحةً، إلى هذا المقرِّ الكريم، ورواية مُسْندة عن حديثه القديم، لطفتُ الوسيلة، ودققتُ الحيلة حتى رددْتُ القلم إلى كنّه , وأغمدتُ السَّيف

فنام ملء جفنه، وأخّـرْتُ بينهمـا الترجيـح وسـكتُّ عمّـا هـو عندي الصّحيح، إلى أن يحكم المقرُّ بينهمـا بعلمـه، ويسـكن سورة غضبهما الوافر ولجاجهما المديد ببسط حلمه.

قال أبو جندل الأزدي:
بعد هذه المناظرة الرائعة المثيرة تأملت التاريخ الإسـلامي فوجدتُ أن الذي يرفعُ القلمَ دونَ سيفٍ يـذِلّ، والـذي يرفـعُ السـيفَ دونَ قلـم يضـلّ ويـزلّ، ومـن يرفعهمـا معـاً فـإلى مبتغاه يهتدي ويصل , ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيميـة إذ قال: (لا يقوم الدين إلا بكتـابٍ يهـدي وسـيفٍ ينصـر وكفـى بربك هادياً ونصيراً).

والله أكبر والعزة لله وللإسلام..
اللهم انصر المجاهدين الموحدين في كل مكان..
اللهم احفظ إخواننا المجاهدين المطاردين في كل مكان..
اللهم فك أسرانا وأسرى المسلمين في كل مكان..
اللهم دمـر أمريكـا والصـليبيين واليهـود وطـواغيت العـرب والعجم في كل مكان..

أبو جندل الأزدي
بتاريخ 9/10/1424هـ

تم تنـزيل هذه المادة من منبر التوحيد والجهاد

http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.com
http://www.alsunnah.info